مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

مفهوم النبوّة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ومنزلة النساء منها

– دراسة نصّيّة مقارنة –

د. محمد بودبان ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

مفهوم النبوّة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ومنزلة النساء منها

– دراسة نصّيّة مقارنة -

د. محمد بودبان

الملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة مشكلة النبوَّة لدى النِّساء في الديانات السماوية الثلاثة: الإسلام واليهودية والمسيحيَّة، وذلك من خلال بحث مفهوم النبوّة في كلِّ ديانة، وتتبُّع من قيل بنبوَّتهنَّ، أوبحث أسباب المنع من نبوَّتهنَّ أو إرسالهنَّ. وعليه فهذا المقال يقفنا على صفات النبيِّ، وخصائص النبوَّة عموماً، وعلى جنس حامل النبوَّة على وجه الخصوص؛ وذلك كلُّه وفق ما يَرتَسِمُ من خلال النَّص الدِّيني في كلِّ ديانةٍ.

وهو يصف بعض وظائف النبوّة بربطها بالاستعدادات المتناسبة معها، كما إنَّه يُمكِّننا من استخلاص بعض الإشارات – ولو من بعيد- للوظائف الدِّينية لدى الجنسين جميعاً. كما يحاول في الأخير أن يستنبط الأثر الدِّيني لذلك.

الكلمات المفتاحية: نبوة، يهوديَّة، مسيحيَّة، إسلام، تناخ، إنجيل، الكتاب المقدّس، القرآن الكريم، النساء.

Abstract:

The current article deals with the main important aspect of the religious phenomenon; which is "Prophecy" .Through this study we are trying to determine the holder's gender of prophecy, in Judaism, Christianity, and Islam. First of all we should define the concept of Prophecy in the three religions then , will the second step consists of adjusting properties of the prophecy; to show the relationship between them and the holder' gender of the prophecy.

Going through a methodological historical approach, by tracing the history of prophecy and prophets in the three monotheistic religions. As well as an analytical approach by searching the sources of properties of the prophecy and prophets; to recognize the most accurate components and differences; so that it Leeds to an urgent need to recruit deductive approach in linking the relationship to the differences between male and female, and between our findings with regard to the sex of the holder of prophecy.

Key words: : Prophecy, Gender, Judaism, Christianity, Islam.

مقدّمة:

يعدُّ هذا الموضوع جزءاً من موضوعٍ أعمَّ منه، هو: **"الوظائف الدِّينيَّة"** حيث نجد عبر تاريخ الحضارات والأديان اختلافاً واضحاً في توزيع الوظائف الدِّينيَّة بين الرجال والنِّساء، ممَّا يحدو بنا إلى التعرُّف على مظاهر ذلك من خلال النموذج الذي اخترناه من الظاهرة الدِّينيَّة وهو النبوَّة تحديداً؛ مع بحثِ البواعثِ عليها ومبرِّراتها، وآثارها الدِّينيَّة والواقعيَّة.

ويمكننا صياغة الإشكالية المراد حلُّها في التساؤل الآتي: « **ما المبرِّرات الدِّينية والواقعيَّة في تخصيص الرجال بالنبوَّة؟ أو في جعلها في قلَّةٍ من النِّساء إن قيل بنبوَّتهنَّ؟ وفق خصائص النبوَّة في الديانات الثلاثة: اليهودية والمسيحيَّة؛ والإسلام**».

والمنطلق في هذه المقالة سيكون من تحديد مفهوم **"النبوَّة"** في الديانات الثلاثة: الإسلام واليهودية والمسيحيَّة؛ ثمَّ سنحاول بعد ذلك ضبط خصائص النبوَّة فيهنَّ؛ ثم تجليَةَ الخاصيَّة المتعلِّقة بجنس حامل النبوَّة؛ وهو ما يقتضينا بحث الفروق بين الجنسين وأثرها في محدِّدات تلك الخاصيَّة.

وكلُّ ذلك سيحوجنا ولا بدَّ إلى توظيف مناهج عدَّة، أهمُّها: **"المنهج التاريخي"** من خلال تتبُّع تاريخ النبوَّة والأنبياء في الديانات الثلاثة؛ و**"المنهج التَّحليلي"** من خلال البحث في خصائص النبوَّة والأنبياء، والنظر في أدقِّ المكوِّنات والفروق فيها؛ كما ستكون الحاجة ملحَّةً في توظيف **"المنهج الاستنباطي"** وذلك في ربط العلاقات بين الفروق بين الجنسين، وبين النتائج التي نتوصل إليها فيما يتعلَّق بجنس حامل النبوَّة.

- **المبحث الأول: ضبط مفهوم النبوَّة.**

أوَّلا: لغةً.

النبيُّ لغة مأخوذٌ إمَّا: من النَبَإ، وهو الخبرُ؛ وإمَّا: من النَّبْوَة والنَّباوة، وهو الارتفاع عن الأرض[i]. وكلا الاشتقاقين يستخلص منهما معانٍ عميقة، فالنبيُّ والنبيء يخبر عن الله تعالى، وهو في منزلة أرفع عن بقية البشر، إذ قد اصطُفِيَ عليهم. وأمَّا الرسول فهو مأخوذٌ من التَّوجيه[ii]؛ فالرسول موجَّهٌ برسالة من رب العالمين، إلى عبيده.

هذا عند المسلمين، والمعنى عند اليهود والنَّصارى لا يبعُدُ من حيثُ اللغة عن كلامهم، فاللَّفظة أُخِذَ معناها عن العبرانيَّة נביא **Nabi** التي تعني الإنباء[iii].

ثانياً: اصطلاحاً: وسنبحثه بحسب الملل الثلاث، كالآتي:

أ/ عند المسلمين: يمكننا أن نأخذ تعريفا شرعيًّا للنبيّ من قول الله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى][iv]؛ فنقول: « **هم بشرٌ رجالٌ يصطفيهم الله تعالى من أهل القرى فيوحي إليهم أن بلّغوا وبشّروا وأنذروا**»؛ وهذا استنباطاً من الآية الكريمة؛ ومسألةُ كونِهم رجالاً سيأتي الكلام عنها.

وممَّا جاء في التَّعريف الشَّرعي بالنبيّ والرَّسول أنَّ النبيَّ: من أُوحي إليه بمَلَكٍ، أو أُلهم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤيا الصَّالحة.[v] وأمَّا الرَّسول: فإنسانٌ بعثه اللَّه إلى الخلق لتبليغ الأحكام.[vi] ذلك أنَّه قد اختلف العلماء في التفريق بين النبيّ والرَّسول[vii] على عدَّة أقوالٍ؛ والتعريف المختار: أنَّ الرَّسول من أوحي إليه بشرع جديدٍ؛ والنبيُّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.[viii] والله أعلم.

ب/ عند اليهود:

النبيُّ هو: الذي ينبئ بالمستقبل... ولفظة نبي נביא تبيّن وظيفَتَهُ، وهو المترجم وناقل الكلام عن يهوه[ix]. وهذه الترجمة والنقل عن يهوه[x] تجعل النبيَّ يتكلّم أو يكتب عمّا يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بناتِ أفكاره، بل هو من قوّة خارجة

عنه، من مصدرٍ أسمى[x]. وعَنَت النّبوة عند اليهود الإخبارَ عن الله وخفايا مقاصده؛ وعن الأمور المستقبلة ومصير الشّعوب والمدن والأقدار، بوحي خاص مُنزلٍ من الله على فم أنبيائه المصطفين[xi].

وعلى ذلك تجدر الإشارة إلى كون الأنبياء العبرانيّين لا يتنبّأون بالمستقبل ضرورةً؛ بل وظيفتُهم كذلك تلقّي الخطاب من الرَّب، ونقل الرسالة إلى القادة والشَّعب. وهم عموماً ينتقدونهم في غالب الأحيان بسبب الزنا، وترك الإيمان؛ وأحياناً كذلك بسبب الفساد والظلم وغياب العدالة الاجتماعيّة.[xii] فيرسل الربُّ الأنبياء مراراً ليأمروا الشعب بالإنابة؛ ولذلك يتنبّأون لهم بالعقاب من الرب، إن لم يستجيبوا للإنذار ؛ ويغيّروا نهجهم؛ وكذلك يبشّرون بالخلاص القادم.[xiv] ويربط الأنبياء بين الله الحيّ وخليقته في الطابع الفريد للحظة الحاضرة، ولذلك بالذات تكون رسالتهم متّجهة نحو المستقبل، الذي يرونه يتقارب بوجهه المزدوج، من حيث: "**العقاب**"؛ ومن حيث: "**الخلاص**".[xv] فالنبيُّ ينصح ويقود، ويرشد الشعب في زمن الأزمات والحروب، ويقوم بدور التّطمين أيضاً في وقت الاضطرابات[xvi].

وتبتدئ الحِقبة النبويّة - بحسب التناخ - من فترة القضاة، وتستمر خلال فترة المملكة القديمة لإسرائيل. والربيُّون يحصون ثمانية وأربعين نبيًّا، وسبع نبيّاتٍ. وبعد تدمير الهيكل، تقرّر لدى الربيّين أنّ عهد النبوّة انتهى؛ وأنّ الرَّب لن يخاطب بعدها الشعب اليهودي من طريق الأنبياء.[xvii] وكان "حجّي"، " زكريا"، و"ملاخي" آخر صوتٍ صدح بالنبوّة؛ ثمّ اانقطعت.[xviii]

وإنّ المتأمّل في التناخ يجد أنّ ثمّة مترادفاتٍ للتعبير عن النبيّ؛ فقد كان عمل النبيّ يُعبّر عنه أحياناً بـ: "**الرّائي**" "**Seer**"، و"**الحالم**" و"**رجل الله**"، و"**خادم الله**" و"**عبد الله**"، و"**المرسل**".[xix] التسميتان بـ"**الرّائي**"، و"**الحالم**" ذكرتا أحد عشر، وست عشرة مرة على الترتيب- وتعبّران عن قدرة ذلك الشخص على رؤية ما لا يستطيع جمهور الناس رؤيته فهو يرى أموراً لا تقع في دائرة البصر الطبيعي؛ ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن الطبيعيّة أن تسمعها: «**سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرَّجل عند ذهابه ليسأل الله: "هلمَّ نذهب إلى الرائي" لأنَّ النبيَّ اليومَ كان يُدعى سابقاً الرَّائي. فقال شاوُلُ لغلامه: "كلامُكَ حسنٌ هلُمَّ نذهبُ". فذهبا إلى المدينة التي فيها رجلُ الله**»[xx].

والتسمية بـ: "**رجل الله**" –الواردة ستَّة وسبعين مرَّة- أُطلقت على أناسٍ مخصوصين نحو: "**إيليا**"، "**إليشع**"، "**موسى**"، و"**صموئيل**" الذين نقلوا كلمة الرَّب، وكانوا صانعي عجائبَ ومعجزاتٍ. في حين اللفظ الأوسع استعمالاً هو "**نبي**"، المستعمل 315 مرَّة.[xxi] والإنباء يتوجّه أساساً إلى المستقبل، كفعل يعقوب عليه السلام[xxii]: «**ودعا بنيه وقال اجتمعوا لأنبّئكم بما يصيبكم في آخر الأيّام**».[xxiii]

وإنَّ من المميّزات الخاصَّة بديانة العهد القديم، أنَّ بداياتها الأولى كانت ذات طبيعة نبويَّة.[xxiv] ويشكّل التَّعليم النبويُّ تقليداً، وله مكانته الخاصَّة المعيَّنة بذاتها في جماعة إسرائيل؛ فهو جزءٌ مكمّلٌ لتلك الجماعة، ولكنَّه لا يحتويها. وعليه فإنَّنا نرى النبيَّ بجانب الكاهن، يقوم بدوره في تنصيب الملك: «**وقال الملك داوُد: "ادعُ لي صادوق الكاهنَ، وناثانَ النبيَّ، وبناياهو بن يهوياداع" فدخلوا إلى أمام الملك؛ فقال الملك لهم: "خذوا معكم عبيد سيّدِكُم، وأركِبوا سليمانَ ابني على البغلة التي لي؛ وانزِلوا به إلى جيحون. وليمسحه هناك صادوق الكاهن، وناثان النبيُّ ملكاً على إسرائيلَ؛ واضربوا بالبوق وقولوا: ليحي الملك سليمان"**»[xxv]؛ فالملك والكاهن والنبيُّ هم خلال حقبةٍ طويلةٍ من الزمن الأقطابُ الثلاثة لجماعة بني إسرائيل، وهم يختلفون فيما بينهم إلى حدِّ التعارض أحياناً؛ إلاّ أنَّهم يحتاجون في العادة إلى بعضهم البعض. فما دامت هناك دولة، نجد فيها الأنبياء لإرشاد الملوك (ناثان، جاد، أليشاع، ولا سيَّما إشعيا، وأحياناً إرميا) وإليهم يؤول القول إن كان العمل الذي شرع فيه الملك يريده الله

أم لا ؛ أو إن كانت سياسةٌ معيَّنةٌ تندمج تماماً، أو لا تندمج في تاريخ الخلاص.[xxi]

والنبوَّة الحقيقيَّة حسب المفهوم الكتابي، لا بدَّ أن تتمّ؛ فهذا الإتمام هو الدليل القاطع على أصالة النبوَّة[xxii]. «**وإن قلتَ في قلبك: "كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلَّم به الرَّبُّ؟" فما تكلَّم به النبيُّ باسم الرَّبِّ ولم يحدُث ولم يَصِرْ، فهو الكلام الذي لم يتكلَّم به الرَّبُّ، بل بطغيانٍ تكلَّم به النبيُّ، فلا تخف منهُ**»[xxiii].

جـ/ عند النَّصارى:

إنَّ كلام النَّصارى عن النبوَّة والرِّسالة مرتبطٌ بأمرين:

- **أوَّلاً**: إحالتهم على المعاني الواردة في **العهد القديم**[xxiv]؛ إذ إنَّ الدارس للديانة النَّصرانيَّة سيلفت نظره اعتمادها وإحالتها على المفاهيم والعقائد اليهودية في كثير من الأمور؛ وذلك إقراراً منهم بامتداد النَّصرانيَّة في اليهوديَّة في كثير من تفصيلاتها العقيدية والتَّشريعيَّة على السواء، حيث يؤمن النَّصارى بما كان قبل مجيء المسيح عليه السلام من النبوءات والأنبياء، ولكنَّهم يقرنون ذلك بمفهوم: "**العهدين**" حيث يميِّزون بين: "**عهد قديم**" و"**عهد جديد**" هذا الأخير مرتبط بمجيء المسيح عليه السَّلام. وذلك التَّمييز ينَّصل اتِّصالاً وثيقا بالنبوَّة ومفاهيمها التي طرأ عليها شيء من التَّعديل. وأمَّا اليهود فهم يرون أنَّ عهد الله إلى إبراهيم ونسله عهدٌ أبديٌّ لا يُنقض، ومن ثمَّ لم يَبْلَ حتَّى يكون ثمَّة عهدٌ جديدٌ يتلوه ويحلُّ محلَّه؛ وإنَّك واجدٌ في كتبهم التي بين أيديهم تكراراً وتأكيداً على ذلك.
- **ثانياً**: الزيادة على ما سبق بإضافة مفاهيم التدبير الخلاصي النصراني من جهةٍ أخرى. والتَّدبير الخلاصي يقصدون به بوجه عامٍ "القصد الإلهي في ما يعود إلى خلاص البشر"[xxv] وهذا التَّدبير الخلاصي ابتدأ عندهم منذ سقوط آدم عليه السلام في الخطيئة، وتحقَّق بصلب المسيح عليه السلام بزعمهم.

ويلخِّصُ لنا **بولس**[xxvi] اجتماع الأمرين، الموضِّحين لمسار النبوَّة حسب المفهوم النَّصراني لها بقوله: «**الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً؛ بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة؛ كلَّمنا في هذه الأيَّام الأخيرة في ابنه**»[xxvii].

ولكنَّه من النَّاحية النظرية –بل والواقعيَّة- لم يختلف تعريف النبيّ عن ما كان في اليهوديَّة عموماً؛ وإن حاول النَّصارى التمييز بينهما[xxviii].

تلك المعاني السابقة التي آمن بها اليهود، ووافقهم عليها النَّصارى، تعرَّضت للتحوير كما أسلفنا؛ فقد تكلّم العهد الجديد عن النّبوات واعتبرها عطيّة المسيح: «**وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشّرين والبعض رعاة ومعلّمين**».[xxix]

كما أعلن المسيح فيما يرويه النَّصارى أنّه سيرسل أنبياء: «**لذلك هاأنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة**».[xxx]

ولذلك لم تنته النبوَّة بمجيء المسيح بحسب التصوُّر المسيحيّ؛ وإن كانوا يضطربون في تصويرها؛ فالرسل في الجيل المسيحيّ الأوَّل: مسيحيُّون كانوا ملهمين من الله؛ فخلفوا أنبياء العهد القديم في إرشاد إخوتهم.[xxxi] والتَّلاميذ الاثنا عشر الذين كانوا حواريّي المسيح كانوا رسله إلى النَّاس، وعُبِّر عن عملهم أنَّه: نقل صورة المسيح، ونشرها ليعمل المسيح، ويظلَّ يعمل عمله.[xxxii]

وأوَّل نبيٍّ ظهر في العهد الجديد هو يوحنا المعمدان[...] وقد وصلت النبوَّة إلى ذروتها – حسب النَّصارى- في الرب يسوع المسيح نفسه.[xxxiii] حيث بدأت النبوَّة في العصر المسيحيّ بانسكاب الروح القدس على

المؤمنين الأوائل في يوم الخمسين [...] (وهو روح النبوّة)؛ فكان من المفروض أنّ في إمكان الجميع أن يتنبّأوا، حيث إنّ الجميع يسكن فيهم الروح القدس... ولكن كان هناك أفرادٌ معيّنون يمتلكون موهبةً خاصّةً للتنبؤ، يقال عنهم بالتّحديد: "**انبياء**".[xxix]

كما يذكر سفر أعمال الرسل أسماء بعض هؤلاء الأنبياء، مثل: "**اغابوس**"، و"**يهوذا**" و"**سيلا**"، و"**برنابا**"، و"**سمعان**" الذي يدعى "**نيجر**"، و"**لوكيوس القيرواني**"، و"**مناين**"... و"**شاول (بولس)**". كما يذكر "**بنات فيلبس الأربعة**". وكان "**يوحنا الرائي**" نبيًّا، رغم أنّه لم يطلق على نفسه هذا اللقب.[xl]

وقد كان الأنبياء يعتبرون من القادة في المجتمعات المسيحيّة الأولى؛ ولكنّها لم تكن قيادةً إداريّة، بل بالحريّ قيادةً روحيّةً في إطار اجتماعات العبادة. وكان للرسل كلُّ المواهب، بما فيها النبوّة. كما إنّ الأنبياء كانوا يقومون بخدمة التّعليم. وكانت أقوالهم من الروح القدس مباشرةً، وهو الذي اختارهم لهذه الخدمة. وكان الدور الأساسي للمعلّمين هو تفسير العهد القديم، وأقوال الرّب يسوع. كانت خدمة الأنبياء الأساسيّة –مثل كلّ المواهب الرُّوحيّة- هي بنيان الكنيسة [...] ونجد التّأكيد على أهمّيّة الوعظ والتشجيع للخدمة النبويّة في أجزاء كثيرة من أعمال الرسل.[xli]

إنّ المضمون الأساسي للنبوّة المسيحيّة هو –كما سبق التنويه- الوعظُ والتّشجيع؛ كما كانت أحياناً لإرشاد المؤمنين في اتّخاذ القرارات الهامّة [...] كما كان التنبُّؤ أحياناً يتضمّن أحداثاً في طيّ المستقبل؛ كما تنبّأ "**اغابوس**" عن المجاعة العالميّة: «**وقام واحدٌ منهم اسمُهُ "اغابوس" وأشار بالرُّوح أنّ جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضاً في أيّام كلوديوس قيصر**»[xlii]. وبإلقاء القبض على الرسول بولس في أورشليم: «**وبينما نحن مقيمون أيّاماً كثيرةً، انحدر من اليهوديّة نبيٌّ اسمه "اغابوس" فجاء إلينا وأخذ مِنْطَقَةَ بولس، وربط يدي نفسه، ورجليه، وقال: "هذا يقوله الرُّوح القدس: الرَّجل الذي له هذه المنطقة، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم، ويسلّمونه إلى أيدي الأمم"**»[xliii]. كما إنّ سفر الرؤيا يحتوي على نبوّات عن الأيّام الأخيرة؛ ليس لإشباع فضول من كتب إليهم، بل لتعزيتهم وتشجيعهم في وسط الاضطهادات والتجارب المحيطة بهم[xliv].

● **المبحث الثاني: النبوّة بين الذكورة والأنوثة.**

أوّلا: في الإسلام.

ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى**] [يوسف: 109] وعلى أساسها، وعلى أساس عدم النّص تصريحاً بنساءٍ في جملة الأنبياء اختلف العلماء المسلمون في نبوّة النساء؛ قال ابن حزم – وهو من المدافعين عن نبوّة النِّساء، وممّن أطال النَفَس في الاستدلال له والحِجاج عنه-: هذا فصلٌ لا نعلمه حدث التّنازع العظيم فيه إلاّ عندنا بقرطبة في زماننا. فإنّ طائفةً ذهبت إلى إبطال كون النبوّة في النِّساء جملةً، وبدّعت من قال بذلك؛ وذهبت طائفةٌ إلى القول بأنّه قد كانت في النِّساء نبوّةٌ؛ وذهبت طائفةٌ إلى التوقُّف في ذلك.[xlv]

وأجاب ابن حزم عن الآية السابقة المستدلّ بها في منع النبوّة من النِّساء، بكون المنع فيها متعلّقٌ بأن تكون المرأة رسولاً، ولكنّها لا تحظرُ النبوّةَ التي هي أخصُّ من النبوّة؛ ثمّ قام بدراسةٍ لفظيّة لمعنى النبوّة ثمّ الاستدلال عليها من خلال النّص القرآني؛ فقال: " وجدنا هذه اللّفظة مأخوذةً من الإنباء – وهو الإعلام- فمن أعلمهُ اللهُ عزّ وجلّ بما يكون قبل أن يكونَ؛ أو أوحى إليه منبئاً له بأمرٍ مّا فهو نبيٌّ بلا شكّ"[xlvi].

ثمّ أجاب عن الاعتراضات التي تنطلق من الاستعمالات الشتّى للوحي في القرآن العظيم، والتي لا تَلْتَبِسُ بالمعنى الذي بيّنه، إذْ ليس المعنى الذي حدّده: " من باب الإلهام الذي هو طبيعةٌ، لقول الله تعالى: [**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**] [النحل: 68]. ولا من باب الظنّ والتوهُّم الذي لا يقطع بحقيقته إلاّ مجنونٌ؛ ولا من باب الكهانة

التي هي من استراق الشَّياطين السَّمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب، وفيه قول الله تعالى: [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا**] [الأنعام: 112]... ولا من باب النجوم التي هي تجاربُ تُتعلَّم؛ ولا من باب الرؤيا التي لا يُدرى أصدقت أم كذبت"[xvii].

والسبب في استبعادِهِ هذه المعاني هو أنَّ الوحي - الذي هو النبوَّةُ - قصدٌ من الله تعالى إلى إعلام من يوحى إليه بما يُعلِمُهُ به؛ ويكون عند الموحى به إليه حقيقةً خارجةً عن الوجوه المذكورة؛ يُحدث الله عزَّ وجلَّ لمن أوحى به إليه علمًا ضروريًّا بصحَّة ما أوحى به، كعلمه بما أدرك بحواسه، وبديهة عقله سواء سواء، لا مجال للشكِّ في شيءٍ منه: إمَّا بمجيءِ الملك إليه به؛ وإمَّا بخطابٍ يُخاطَبُ به في نفسه –وهو تعليمٌ من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلِّم-.[xviii]

وعلى أساسٍ من ذلك تقرَّر لدى ابن حزم أنَّه: قد جاء القرآن بأنَّ الله تعالى عزَّ وجلَّ أرسل ملائكةً إلى نساءٍ، فأخبروهنَّ بوحيٍ حقٍّ من الله تعالى؛ فبشَّروا أمَّ إسحاق بإسحاقَ عن الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: [**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**] [هود: 71-73] فهذا خطاب الملائكة لأمّ إسحاق عن الله عزَّ وجلَّ بالبشارة لها بإسحاق، ثمَّ يعقوب؛ ثمَّ بقولهم لها: أتعجبين من أمر الله؟ ولا يمكن البتَّة أن يكون هذا الخطاب من ملَكٍ لغير نبيٍّ بوجهٍ من الوجوه. ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أمّ عيسى عليهما السلام، فخاطبها، وقال لها: [**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**] [مريم: 19]. فهذه نبوَّةٌ صحيحةٌ، بوحيٍ صحيحٍ، ورسالةٌ من الله تعالى إليها... ووجدنا أمَّ موسى عليهما السلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها في اليمّ؛ وأعلمها بأنَّه سيُردُّ إليها ويجعله نبيًّا مرسلاً [**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ**] [القصص: 7] فهذه نبوَّةٌ صحيحة لا شكَّ فيها. وبضرورة العقل يدري كلُّ ذي تمييزٍ صحيحٍ أنَّها لو لم تكن واثقةً بنبوَّة الله عزَّ وجلَّ لها، لكانت بالقائها ولدها في اليمّ برؤيا تراها، أو بما يقع في نفسها، أو قام في هاجسها في غاية الجنون، والمراد الهائج.[xix]

ووجدنا الله تعالى قد قال عمن ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهيعص؛ وذكر مريم في جملتهم؛ ثمَّ قال عزَّ وجلَّ: [**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**] [مريم: 58]. وهذا هو عمومٌ لها معهم، لا يجوز تخصيصها من جملتهم؛ وليس قوله عزَّ وجلَّ: [**وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**] [المائدة: 75]. بمانعٍ من أن تكون نبيَّةً، فقد قال تعالى: [**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**] [يوسف: 46]. وهو مع ذلك نبيٌّ ورسول الله... ويلحق بهنَّ عليهنَّ السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « **كَمُلَ من الرِّجال كثيرٌ، ولم يَكْمُل من النِّساء إلاَّ مريمُ بنتُ عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[1]. أو كما قال عليه السلام. والكمال في الرِّجال لا يكون إلاَّ لبعض المرسلين عليهم السلام؛ لأنَّ مَنْ دونهم ناقصٌ عنهم بلا شكٍّ. وكان تخصيصه صلَّى الله عليه وسلَّم بالكمال مريم، وامرأة فرعون تفضيلاً لهما على سائر من أوتيت النبوَّة من النِّساء بلا شكٍّ؛ إذ من نقص عن منزلة آخر، ولو بدقيقة لم يكمل؛ فصحَّ بهذا الخبرِ أنَّ هاتين المرأتين كَمُلتا كمالاً لم يلحقهما معه امرأة غيرهنَّ أصلاً.[li] انتهى كلام ابن حزم رحمه الله؛ وقد سُقناه على طوله بسبب كونه أكثر المتحمّسين لإثبات نبوَّة النساء.

ومن المفسِّرين القدماء القائلين بنبوءة النِّساء القرطبي رحمه الله تعالى؛ وانطلق من قول الله تعالى: [**وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ**] [آل عمران: 42]؛ قال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الكمالُ هو التناهي والتمام... ولا شكَّ أنَّ أكمل نوع الإنسان الأنبياءُ ثمَّ يليهم الأولياءُ

من الصدّيقين والشهداء والصّالحين. وإذا تقرّر هذا فقد قيل: إنَّ الكمال المذكور في الحديث يعنى به النبوّة؛ فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيّتين؛ وقد قيل بذلك. والصّحيح أنَّ مريم نبيّةٌ؛ لأنَّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة ملك، كما أوحى إلى سائر النبيّين حسب ما تقدّم... وأمّا آسية فلم يرد ما يدلُّ على نبوّتها دلالةً واضحةً؛ بل على صدّيقيتها وفضلها... فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أنَّ مريم أفضل من جميع نساء العالم، من حوّاء إلى آخر امرأةٍ تقوم عليها الساعة. فإنَّ الملائكة قد بلّغتها الوحي عن الله عزَّ وجلَّ بالتكليف والإخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء. فهي إذن نبيّةٌ، والنبيُّ أفضل من الولي، فهي أفضل من كلّ النّساء الأوّلين والآخرين مطلقاً. ثمَّ بعدها في الفضيلة: فاطمة ثمَّ خديجة، ثمَّ آسية.[iii]

ومن المفسّرين المعاصرين الذين قالوا بنبوءة النّساء: **"محمّد الطاهر بن عاشور"** حيث ينطلق من ذات قول الله تعالى: [**وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ**][آل عمران: 42][iiii]. قال: "وتكليم الملائكة، والاصطفاء يدلاّن على نبوءتها، والنُّبوءة تكون للنّساء دون الرّسالة".[iv] قال الطبريُّ: وكانت الملائكة فيما ذكر ابن إسحاق تقول ذلك لمريم **شفاهاً**.[v]

وأمّا المانعون من ذلك فانطلقوا من قول الله تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**][vi] فرأوا أنَّه يُفهم من هذه الآيات أنَّ الله لم يرسل امرأةً قطُّ[vii].

وأمّا عن الاصطفاء المذكور لمريم عليها السلام، فلم يروا فيه اصطفاءَ نبوّةٍ في كلا التّكرارَيْن؛ حيث رأوا أنَّ الله تعالى كرّر الاصطفاء لأنَّ معنى الأوّل الاصطفاء لعبادته، ومعنى الثاني: لولادة عيسى.[viii]

ثانياً: في اليهوديّة.

بحسب **التناخ**؛ فإنَّ روح الله كان يحلُّ – من وقت لآخر- على امرأةٍ؛ ولو أنَّ ذلك لم يكن بالكثرة التي كانت للنّساء النبيّات في الديانات الوثنيّة.[ix] فيمكن للنساء أن يكنَّ نبيّات، ونبيّاتٍ عظيماتٍ ذوات هيبة[x]. وللّه مطلق الحرّيّة في اختيار خُدّامِهِ لتنفيذ إرادته: فقيراً كان أم غنيًّا، ذكراً أم أنثى، ملكاً أم عبداً.[xi] وقد أسهمت النّساء في عمل الله بفاعليّةٍ[xii].

كما كانت زوجات الأنبياء تُدعين بنبيّات أحياناً كما في حق زوج إشعيا –وبعضهم يعدُّها نبيّةً[xiii]-: «**فاقتربت إلى النبيّة، فَحَبَلَتْ وولدت ابناً؛ فقال لي الرَّبُّ: ادعُ اسمَهُ: "مَهَيْرَ شَلاَلَ حاشَ بَزَ"**»[xiv]. مثلما تُدعى امرأة الخوري خوريّة دون أن يكون لها أيّة صفةٍ كهنوتيّة فعليّة.[xv]

وأمّا النبيّات في التناخ المذكورات فهنَّ:

أ/ مريم أخت هارون وموسى:

دعيت مريم نبيّةً؛ ليس لأنّها أخذت إعلاناتٍ من الله فحسب؛ بل أيضاً لأجل مهارتها الموسيقيّة؛ فكثيراً ما ارتبطت النبوّة والموسيقى[xvi] في الكتاب المقدّس[xvii]. وقد وردت نبوّتها في عدّة نصوص: «**فأخذت مريم النبيّةُ أختُ هارونَ الدُّفَّ بيدها، وخرجت جميع النِّساء وراءها بدُفوفٍ ورقص. وأجابتهم مريمُ: "رنِّموا للرَّبِّ فإنَّه قد تعظَّمَ، الفرسَ وراكبَهُ طرحهما في البحر"**»[xviii].

«**وتكلَّمت مريم وهارونُ على موسى بسبب المرأة الكوشيَّة التي اتَّخذها؛ لأنَّه كان قد اتَّخذ امرأةً كوشيَّةً. فقالا: هل كلَّم الربُّ موسى وحده؟ ألم يكلِّمنا نحن أيضاً؟ فسمع الربُّ [...] فقال: اسمعا كلامي: "إن كان منكم نبيٌّ للرَّبِّ فبالرُّؤيا أستعلن له؛ في الحلم أكلِّمُهُ. وأمّا عبدي موسى فليس هكذا؛ بل هو أمينٌ في كلِّ بيتي؛ فماً إلى فمٍ أتكلَّم معه، لا بألغازٍ وشِبْهَ الرَّبِّ يعاينُ؛ فلماذا لا تخشيان أن تتكلَّما على عبدي موسى؟"**».[xix] «**يا شعبي ماذا صنعتُ بك، وبماذا أضجرتُكَ؟ اِشهد عليَّ: إنِّي أصعدتُكَ من أرض مصرَ؛ وفككتُكَ من بيت العبوديَّة؛ وأرسلت أمامك موسى وهارون ومريمَ**»[xx].

ب/ دبُّورة قاضية بني إسرائيل:

«**ودبُّورة امرأةٌ نبيَّةٌ زوجةُ لَفِيدوتَ، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت؛ وهي جالسةٌ تحت نخلة دبورةَ بين الرَّامَة وبيت إيل في جبل أفرايم. وكان بنو إسرائيل**

يصعدون إليها للقضاء [...]فقالت دبُورة لباراقَ: "قمْ لأنَّ هذا اليوم الذي دفع فيه الربُّ سيسَرَا ليدك، ألم يخرج الرَّبُّ قُدَّامكَ؟ [...] فأذلَّ اللهُ في ذلك اليوم يابين ملك كنعان أمام بني إسرائيل. وأخذت يدُ إسرائيل تتزايدُ وتقسو على يابين ملك كنعان حتَّى قرضوا يابين ملك كنعان. فترنَّمت دبُورة وباراق بن أبينُوعَمَ في ذلك اليوم قائلَيْنِ: "اسمعوا أيُّها الملوك، واصغوا أيُّها العظماء: أنا، أنا للربِّ أترنَّمُ، أزمِّر للربِّ إله إسرائيل. يا ربُّ بخروجك من سعير، بصعودك من صحراء أدوم، الأرض ارتعدت، السَّماوات أيضاً قطرت ماءً؛ تزلزلت الجبال من وجه الرَّبِّ إله إسرائيل"»[lxxi].

دبورة: هي الأنثى الوحيدة من بين القضاة؛ كانت نبيَّةً، قائدةً، محاربةً، وقاضيةً، وكانت خاضعةً لإرادة الرَّب، وعرف السلام الأرض لأربعين عاماً بعد القضاء على سيسرا بفضلها؛ وقد قارنها دارسوا الكتاب المقدس بموسى[lxxii]. فقد كان لـ"**دبُورة**" مكانةٌ عظيمةٌ كنبيَّةٍ وقاضيةٍ لإسرائيل؛ وهي التي دفعت الشعب للتخلُّص من أعدائهم الذين استعبدوهم طويلاً.[lxxiii]

كانت دبُورة هي المنقذ في ذلك الوقت [من حكم الأعداء من مدينة حاصور الذين حكموا الأسباط الشماليين عشرين عاماً بقسوة] وهي امرأةٌ أقيمت كقاضيةٍ مدنيةٍ وإداريَّة للشعب. دعت باراق القائد، وقادته مع قوَّةٍ كبيرةٍ من الجيش للصعود إلى جبل تابور. كانت الخطَّة هي جعل قائد الأعداء: "**سيسرا**" يعتقد بوجود جيشٍ متمرِّدٍ في إسرائيل، فتنجذب كلُّ مركبات سيسرا مع قوَّاته إلى سهول نهر قيشون الذي يقع أسفل مناطق إسرائيل؛ وكانت الخطَّة ناجحةً.[lxxiv]

جـ/ خَلْدة:

كانت في أيَّام "**يوشيا**" وكان لها دورٌ كبيرٌ في أورشليم[lxxv]: «**فذهب حلقيا الكاهنُ وأخيقامُ وعكبور وشافانُ، وعساياَ إلى خَلْدَةَ النبيَّة، امرأة شلُّوم بن تِقوةَ بن حَرْحَسَ حارس الثِّيابِ؛ وهي ساكنةٌ في أورشليم في القسم الثاني وكلَّموها. فقالت لهم: "هكذا قال الرَّبُّ إلهُ إسرائيل: قولوا للرَّجل الذي أرسلكم إليَّ: هكذا قال الـرَّبُّ:..."**»[lxxvi]. ومن الواضح أنَّ خلدة كانت تتمتَّع باحترامٍ عظيمٍ من الشعب في زمانها.[lxxvii]

النبيَّاتُ الكاذباتُ:

إلى جانب النبيَّات الصادقات؛ ذكر التناخ إلى جانبهنَّ نبيَّاتٍ كاذباتٍ وحذَّر منهنَّ: «**وأنت يا ابنَ آدمَ، فاجعل وجهك ضدَّ بناتِ شعبك اللَّواتي يتنبَّأْنَ من تلقاء ذواتهنَّ، وتنبَّأْ عليهنَّ**»[lxxviii].

ومنهنَّ "**نُوعَدْيَة**" حيث بعد العودة من السبي البابلي قام النبيَّان حجِّي وزكريا بتشجيع الشعب الراجع من السبي على إعادة بناء الهيكل (نحو 520 ق.م) ولكن كان هناك أيضاً أعداء، وأنبياء كذبة يعارضون هذا العمل، كان منهم نوعدية النبيَّة[lxxix]. «**اُذْكر يا إلهي طوبيَّا وسَنْبَلَّطَ حسب أعمالهما هذه، ونوعدْيَةَ النبيَّةَ، وباقي الأنبياء الذين يخيفونني**»[lxxx].

ثالثاً: في المسيحيَّة:

ورد كذلك في العهد الجديد ذكرٌ لنبيَّاتٍ نساء هنَّ:

1/**حنَّة النبيَّة**: «**وكانت نبيَّةٌ "حنَّة بنت فَنُوئيل" من سبط أشير؛ وهي متقدِّمةٌ في أيَّامٍ كثيرةٍ، قد عاشت مع زوجٍ سبعَ سنين بعد بكوريَّتها؛ وهي أرملةٌ نحو أربعٍ وثمانين سنة؛ لا تفارق الهيكلَ، عابدةٌ بأصوامٍ وطِلِبَاتٍ ليلاً ونهاراً. فهي في تلك الساعة وقفت تسبِّح الرَّبَّ، وتكلَّمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليمَ**»[lxxxi]. دُعيت حنَّة نبيَّةً، إشارةً إلى التصاقها الوثيق بالله؛ ولا يتنبَّأ الأنبياء بالضرورة عن المستقبل؛ فقد كان دورهم الرئيسي هو التكلُّم بلسان الله، وإعلان حقِّه.[lxxxii]

2/ **بنات فيلبس الأربع**: «**فيلبُّس المبشِّر [...] وكان لهذا أربع بناتٍ عذارى، كنَّ يتنبَّأنَ**»[lxxxiii].

3/ **النبيَّة الكاذبة إيزابل:** كانت هناك امرأةٌ في كنيسة "**ثياتيرا**" تنادي بأنَّ النَّجاسة ليست بالأمر الخطير على المؤمن؛ وربَّما كان اسمُها: "**إيزابل**" أو لعلَّ يوحنَّا استخدم اسم إيزابل ليرمز إلى نوع الخطأ أو الشرِّ الذي كانت تصنعه؛ وكانت إيزابل الملكة الأمميَّة

الوثنيَّة في إسرائيل تعتبر أشرّ امرأةٍ على الإطلاق[lxxiv]؛... والواضح أنَّ إيزابل المذكورة هنا كانت تهتمُّ بمُتعِها الأنانيَّة، وملذَّاتها الشخصيَّة، وحرّيتها أكثر من اهتمامها باحتياجات وأمور المؤمنين الآخرين.[lxxv]:

«لكنَّ عندي عليك قليلٌ: أنَّك تُسيّبُ إيزابلَ التي تقول إنَّها نبيَّةٌ، حتَّى تعلِّمَ، وتُغوي عبيدي أن يزنوا ويأكلوا ما ذُبحَ للأوثان. وأعطيتها زماناً لكي تتوب عن زناها ولم تَتُبْ؛ ها أنا ألقيها في فراشٍ، والَّذين يزنون معها في ضيقةٍ عظيمةٍ، إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم، وأولادُها أقتلُهم بالموت»[lxxvi].[lxxvii]

- **المبحث الثالث: الفروق بين الذكر والأنثى وأثرها في تخصيص النبوَّة بالرجال.**

لقد وقفنا في المبحث السالف على قلَّة النبيَّات في الديانات الثلاث جميعاً؛ مع ملاحظة كون النِّساء يمكنهنَّ المشاركة -كنبيَّاتٍ- هو عند المسلمين أمرٌ مختلف فيه كما سبق بيانُهُ. وهذه القلَّة تقتضي وجود موانع من نبوَّة النِّساء؛ ولكنَّها حين النَّظر ليست ذات علاقةٍ بمنزلة النِّساء وقَدْرهنَّ؛ وإنَّما هي من باب الاستعدادات الجِبلِّيَّة التي قدَّرها الله تعالى على بني آدم، ذكرًا وأنثى.

إنَّ لفرويد عبارةً شهيرة تحتمل في مضامينها كثيراً من الصواب، حيث قال: **"التشريح هو المصير"** **"Anatomy is Destiny"**[lxxviii]. ويعني بذلك أنَّ البنى التَّشريحية ترسم قدر صاحبها؛ ونحن هنا نأخذها بمعنىً يتَّسق أكثر مع مضامين الآيات القرآنية التي تصوِّر لنا كيف أنَّ الله تعالى يسَّر ما خلق – ذكراً وأنثى- إلى وظائف اجتماعية يقومون بها؛ لتتحقَّق غاية الخلق بتكاملهما معاً.

فإذا تقرَّر أنَّه: [**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى**] [آل عمران: 36]؛ فإنَّ الفروق بين الجنسين هي فروقٌ جسديَّةٌ، وفروقٌ روحيَّة؛ تدور عند النظر فيها حول ضعف الأنثى؛ لكن ينبغي أن ننظر للأمر كذلك من زاويةٍ أخرى كذلك مرعيَّةٍ وهي:

- أنَّ الضعف لا يعني أبدا التَّحقير.
- أنَّ القوَّة قد توجد في تضاعيف الضعف، والضعف قد يوجد بين نتوءات القوَّة.
- أنَّ القوَّة لها أشكالٌ، لا شكلا واحداً، ولها صفات ومظاهر.

فأذا تقرَّر أنَّه لكلِّ طائفةٍ من الجنسين وظائفها الاجتماعية في تحقيق الاستخلاف في الأرض، فينبغي إذن الخضوعُ لها؛ قال الله تعالى: [**وَلاَ تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**] [النساء: 32].

ثمَّ بغضِّ النَّظر عن المظاهر، والآليات والكيفيَّات للوظائف الدِّينيَّة والدنيويَّة للنِّساء والرِّجال؛ فإنَّ العاقبة واحدة في المآلات الأخرويَّة؛ قال الله تعالى: [**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً**] [النساء: 124]. وقال: [**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] [النحل: 97]. وكذلك قال: [**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**] [غافر: 40].

فإذا كان الأمر كذلك، فمهام الأنبياء والمرسلين لا تتوافق في كثيرٍ من خطوطها العريضة والتَّفصيليَّة على السواء مع طبيعة المرأة ووظائفها الاجتماعيَّة؛ فوجود القيادة النبويَّة الدنيويَّة للمُخاطبين بالرِّسالة، يجعل مهامَّ المرسلين متطلِّبةً لاستعدادات خاصَّة تتوافق مع الوظائف الاجتماعيَّة للنبوَّة؛ حيث تتطلَّب البروز، والمخالطة، والسفر، والقتال، وإقامة الطقوس والشَّعائر...إلخ. كما تُعيقها الموانع التي تطرء على بنات آدم، كالحيض والنِّفاس، والولادة، وتدبير شؤون البيوت... إلخ؛ وهذا ينتفي عند من رأى النبوَّة دون الإرسال في النِّساء -وأنَّها بمعنى الإعلام فقط- فيمكن حينئذٍ للمرأة مباشرة ذلك.

ويمكننا أن نجد ما يقرب ممَّا سبق **لدى اليهود**؛ ويمكن أن ينضاف إليها حقيقة مهمة ينبغي الإشارة إليها: أنَّه في إسرائيل منعت النساء من العمل الكهنوتي.[lxxix] والذي يدفعنا إلى ذكر هذا الكلام هو لئلاَّ يرى القارئ أنَّ في قول اليهود والنَّصارى بالنبوَّة في النِّساء فضيلةً لديانتيهما على الإسلام الذي رجَّح أكثر علمائه عدم نبوَّة النِّساء.

فإن قالوا بذلك أجبناهم بما نستشعره في بعض الأحيان من التقليل من شأن المرأة، فهي مسؤولة عن الخطيئة الأولى وعوقبت بأمرين: الخضوع للرجل، والولادة. ونجاستها تستوجب التكفير: «**وإذا طهرت من سيلها، تحسب لنفسها سبعة أيَّامٍ ثمَّ تطهُرُ؛ وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين، أو فرخي حمامٍ، وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع. فيعمل الكاهن الواحدَ: ذبيحة خطيَّة، والآخر محرقة؛ ويكفِّر عنها الكاهن أمام الرَّبِّ من سيل نجاستها. فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستهم، لئلاَّ يموتوا في نجاستهم، بتنجيسهم مسكنيَ الذي في وسطهم**»[xc].

وكذلك: «**وكلَّم الرَّبُّ موسى قائلاً: "كلِّم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأةٌ وولدت ذكراً، تكون نجسةً سبعةَ أيَّامٍ؛ كما في أيَّام طمث علَّتها تكون نجسةً. وفي اليوم الثامن يُختن لحم غرلته؛ ثمَّ تقيم ثلاثةً وثلاثين يوماً في دم تطهيرها: كلَّ شيءٍ مقدَّسٍ لا تمسَّ، وإلى المَقْدِس لا تجئ، حتَّى تكمل أيَّام تطهيرها. وإن ولدت أنثى، تكون نجسةً أسبوعين كما في طمثها؛ ثمَّ تقيم ستَّةً وستِّين يوماً في دم تطهيرها**"»[xci].

ثمَّ نجد **لدى المسيحيِّين** اعتماداً على المعطيات والحقائق السابقة لدى اليهود؛ ويزداد الأمر شيئاً من التَّفصيلات؛ والتضييق في مجال التعلُّم والتَّعيم الدِّيني، وتحجيم الوظائف الدِّينية لهنَّ؛ ويحدِّد بولس شيئاً من ذلك بقوله: «**لتتعلَّم المرأة بسكوتٍ في كلِّ خضوعٍ؛ ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلِّم ولا تتسلَّط على الرَّجل، بل تكون في سكوتٍ. لأنَّ آدم جُبِلَ أوَّلاً، ثمَّ حوَّاءُ؛ وآدمُ لم يُغوَ، لكنَّ المرأة أغويت فحصلت في التَّعدِّي؛ ولكنَّها ستخلُص بولادة الأولاد؛ إن ثَبَتْنَ في الإيمان والمحبَّة، والقداسة مع التعقُّل**»[xcii].

● **خاتمة**.

في آخر هذه المقالة، نودُّ أن نجمل أهمَّ ما وقفنا عليه كالآتي:

1/ وظيفة النبوَّة وظيفةٌ ذات أهميَّة عالية في حياة الأمم؛ فهي تقود أهلها تحقيقاً لإرادة الله إلى خيري الدنيا والآخرة.

2/ القول بنبوَّة النساء، قال به قلَّةٌ من علماء الإسلام؛ وأكثرهم منع منها.

3/ قال اليهود والنَّصارى على السواء بنبوَّة النِّساء، ولكنَّها محصورةٌ في قلَّةٍ منهنَّ، سواءٌ في التناخ، أم في العهد الجديد.

4/ وجود القيادة النبويَّة الدنيويَّة للمُخاطبين بالرِّسالة، يجعل مهامَّ المرسلين متطلِّبةً لاستعدادات خاصَّة تتوافق مع الوظائف الاجتماعيَّة للنبوَّة؛ حيث تتطلَّب البروز، والمخالطة، والسفر، والقتال، وإقامة الطقوس والشَّعائر...إلخ. كما تُعيقها الموانع التي تطرء على بنات آدم، كالحيض والنِّفاس، والولادة، وتدبير شؤون البيوت... إلخ.

5/ ليس في المنع من نبوَّة النِّساء ازدراء لقدر المرأة أو إهانة لرتبتها؛ بل الأمر مجرَّدُ تيسير كلٍّ ممَّا خلق الله تعالى إلى ما خُلِق له؛ وهو مقتضى الحكمة؛ غير أنَّنا نلحظ فرقاً في الإسلام عن بقيَّة الديانتين الأخريين؛ حيثُ نجده يفسح المجال الواسع للتعلُّم وللتعليم الدينيين للمرأة؛ وقد كان منهنَّ عبر التاريخ محدِّثات وفقيهات، وغير ذلك؛ بينما نجد خطَّ سير اليهوديَّة والنَّصرانيَّة كان في الاتِّجاه المعاكس من إجازتهم نبوَّة النساء؛

فمنعن من العمل الكهنوتي، وملابسة التعلُّم والتعليم...إلخ.

الهوامش:

[i]- ابن منظور؛ **لسان العرب** (دط) دار المعارف، (4315/6). اسماعيل بن حمّاد الجوهري؛ **الصّحاح**، ت أحمد عبد الغفور عطّار ط3 دار العلم للملايين بيروت، 1984م (74/1).

[ii]- **لسان العرب** (1644/3)، **الصحاح** (1709/4)، مجد الدّين الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**؛ (دط) دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان 1983، (384/3).

[iii]- **Le dictionnaire Apologétique de la foi Catholique** ; sous la direction de A.D'Alés, 4éme edition; Gabriel Beauchésne éditeur: Paris-France,1911(,4/386).

[iv]- يوسف: 109.

[v]- علي بن محمّد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1985م؛ ص258-259.

[vi]- المصدر نفسه، ص115.

[vii]- والرسالة جملةٌ من البيان، يحملها القائم بها ليؤدّيها إلى غيره؛ والنبوّة تكليف القيام بالرسالة، فيجوز إبلاغ الرّسالات، ولا يجوز إبلاغ النبوّات. انظر: أبو هلال العسكري: **الفروق اللغوية**، ت محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة- جمهورية مصر العربية، ص269.

[viii]- عمر سليمان الأشقر: **الرُّسل والرّسالات**، مكتبة الفلاح؛ (ط4)، دار النفائس: الكويت، 1989م، ص15.

[ix]- **Le dictionnaire Apologétique de la foi Catholique** ; (4/386)

[x]- هو اسم الله بالعبرانيّة يكتب هكذا: "יהוה"؛ سأل موسى الرب عن اسمه فأجاب "**يهوه**" أي "**انا من هو**" أو "**انا من اكون**" أي سأكشف عن نفسي بأعمالي. انظر: صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، أعاد النظر فيه من النّاحية المسكونيّة الأب جان كوربون.(ط1)، دار المشرق: بروت- لبنان، 1994م، ص61.

[xi]- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاّهوتيّين؛ هيئة التّحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر: **قاموس الكتاب المقدّس**، (ط13)، دار مكتبة العائلة: القاهرة مصر، مطبعة الحرّيّة: بيروت- لبنان، 2000م.ص 949؛ **دائرة المعارف الكتابية** ط3، دار الثقافة المسيحية: القاهرة- مصر، (14/8).

[xii]- **قاموس الكتاب المقدّس**، ص 949.

[xiii]- Sara E.Karesh, Mitchell M. Hurvitz: **Encyclopedia Of Judaism**, United States of America; 2006, p356.

[xiv]- Ibid, p356, 406.

[xv]- لجنة من المعرّبين بإشراف المطران أنطونيوس نجيب: **معجم اللاّهوت الكتابي** (العنوان الأصلي: **Vocabulaire de Theologie Biblique**)، ط6، دار المشرق: بيروت- لبنان، 2008م، ص800.

[xvi]- صموئيل يوسف خليل: **الفكر اللاّهوتي المسيحي في العهد القديم**، ط1، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 2011م، ص175.

[xvii]- **Encyclopedia Of Judaism**, p406.

[xviii]- Ephram Levine **: Judaism**; T.C and E.C Jack: London; Dodge Publishing Co: New York; p22 وانظر: **دائرة المعارف الكتابية**، (19/8) .

[xix]- انظر: الأب متّى المسكين: **النبوّة والأنبياء في العهد القديم**، ط1، دير القدّيس أنبا مقار: القاهرة- مصر، 2003م، ص 13-14. **ودائرة المعارف الكتابية**، (14/8).

[xx]- 1صم9: 9-10

[xxi]- **Encyclopedia of Christian Theology**; 1299)./Routledge; New York; 2005, (1

[xxii]- **قاموس الكتاب المقدّس**، ص 950.

[xxiii]- التكوين 1:49

[xxiv]- **دائرة المعارف الكتابية**، (17/8).

[xxv]- 1ملوك 32- 34.

[xxvi]- **معجم اللاّهوت الكتابي**، ص797.

[xxvii]- **دائرة المعارف الكتابية**، (16/8).

[xxviii]- تثنية 18: 21.

[xxix]- العهد القديم والعهد الجديد هما الجزءان الرئيسيان للكتاب المقدّس فالعهد القديم ما كتبه من كانوا قبل المسيح والعهد الجديد ما كتبه من جاؤوا بعد المسيح عليه السلام . انظر:

le Dictionnaire pratique des connaissances Religieuses , Publié sous la direction de J.BRICOT Librairie Letouzey et Ane , Paris , France 1925 (1/795)

[xxx]- **معجم الإيمان المسيحي**، ص 141.

[xxxi]- ولد في طرسوس قيليقلية في حوالي 10م؛ وقطع رأسه في رومة في حوالي 67م؛ اسمه اليهوديّ: شاول، واسمه اليوناني بولس. اضطهد المسيحيّين الأوّلين، لكنّه اهتدى إلى المسيحيّة، فأصبح الرسول المثالي؛ **معجم الإيمان المسيحي**، ص 118.

[xxxii]- عبرانيين 1:1-2.

[xxxiii]- انظر مثلا: **دائرة المعارف الكتابية**، (21/8)؛ حيث قالوا: والآن حيث ليس ثمّة أنبياء بمفهوم العهد القديم؛ فإنّ لنا في كلمة الله كل ما يلزم للعبادة، والخدمة، والحياة.

[xxxiv]- أفسس 4:11

[xxxv]- متّى 23:34.

[xxxvi]- **معجم الإيمان المسيحي**، ص 503.

[xxxvii]- الأب متّى المسكين: **المسيح: حياته، أعماله**، ط2، دير القدّيس أنبا مقار: القاهرة- مصر، 2008م، ص 116.

[xxxviii]- **دائرة المعارف الكتابية**، (19/8).

[xxxix]- المرجع نفسه، (20/8).

[xl]- المرجع نفسه ، (20/8).

[xli]- المرجع نفسه، (20/8).

[xlii]- أعمال الرسل 11: 28.

[xliii]- أعمال الرُّسل 21: 10-11.

[xliv]- **دائرة المعارف الكتابية**، (21/8).

[xlv]- ابن حزم علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، ت محمَّد إبراهيم نصر، عبد الرَّحمن عميرة، (ط1) مكتبات عكاظ: المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، 1982م، (119/5).

[xlvi]- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، (119/5-120).

[xlvii]- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، (119/5-120).

[xlviii]- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، (119/5-120).

[xlix]- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، (120/5).

[l]- البخاري: **الأطعمة**، باب الثَّريد، ح5418، ص 1147؛ عن أبي موسى الأشعري.

[li]- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، (121/5).

[lii]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (لا معلومات أخرى عن النشر)، (83/4).

[liii]- "وطهَّرك" أي من الكفر عن مجاهدٍ والحسن. الزجَّاج: من سائر الأدناس من الحيض والنِّفاس وغيرهما، واصطفاك لولادة عيسى. (على نساء العالمين) يعني عالمي زمانها، عن الحسن وابن جريج وغيرهما. وقيل "على نساء العالمين" أجمع إلى يوم الصور، وهو الصحيح... وهو قول الزجَّاج وغيره. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (82/4).

[liv]- محمَّد الطاهر بن عاشور: **تفسير التَّحرير والتنوير**؛ (دط)، الدار التُّونسية للنشر: تونس، 1984م؛ (244/3). قال: وتكرَّر فعل: "اصطفاك" لأنَّ الاصطفاء الأوَّل اصطفاءٌ ذاتيٌّ، وهو جعلها منزَّهةً زكيَّةً؛ والثاني بمعنى التَّفضيل على الغير، لذلك لم يُعَدَّ الأوَّل إلى متعلَّق، وعُدِّي الثاني. ونساء العالمين نساء زمانها، أو نساء سائر الأزمنة.

[lv]- محمَّد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (دط)، دار الفكر: بيروت- لبنان، 1984م، (264/3).

[lvi]- النحل: 43.

[lvii]- محمد الأمين بن محمَّد المختار الجكني الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، 1996م، (207/3). قال: والباء في قوله: [بالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ] قيل: تتعلَّق بـ: "ما أرسلنا" داخلاً تحت حكم الاستثناء مع: "رجالاً" أي: وما أرسلنا إلاَّ رجالاً بالبيِّنات، كقولك: ما ضربت إلاَّ زيداً بالسوط؛ لأنَّ أصله: ضربتُ زيداً بالسَّوط. وقيل تتعلَّق بقوله: "رجالاً" صفةً له؛ أي رجالاً متلبِّسين بالبيِّنات. وأنكر الفرَّاء ذلك. وقال: إنَّ صفة ما قبل "إلاَّ" لا تتأخَّر إلى ما بعدها؛ لأنَّ المستثنى عنه هو مجموع ما قبل "إلاَّ" مع صلته، كما لو قيل: أرسلنا إلاَّ رجالاً بالبيِّنات؛ فلمَّا لم يصر هذا المجموع مذكوراً بتمامه، امتنع إدخال الاستثناء عليه. وقيل: تتعلَّق بـ: "أرسلنا" مضمراً دلَّ عليه ما قبله؛ كأنَّه قيل: بم أرسلوا؟ قيل بالبيِّنات. وقيل: تتعلَّق بـ: "نوحي" أي نوحي إليهم بالبيِّنات. وانظر: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: **الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل**، ت مصطفى حسين أحمد، ط3، دار الكتاب العربي، (دب)، 1987م، (607/2-608). ومحمَّد بن علي بن محمَّد الشَّوكاني: **فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التَّفسير**، تحقيق أحمد عبد السلام، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، 1994م، (204/3).

[lviii]- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (82/4).

[lix]- **دائرة المعارف الكتابية**، (15/8).

[lx]- **Encyclopedia of Christian Theology**; (1 -1299)./

[lxi]- **التفسير التَّطبيقي للكتاب المقدَّس**، (ط5)، ماستر ميديا: القاهرة- مصر، 2004، ص 837.

[lxii]- المرجع نفسه، ص 2349.

[lxiii]- المرجع نفسه، ص 2349.

[lxiv]- إشعياء 8: 3. "**مهير شلال حاش بز**" والذي يعني: "**مسرعٌ إلى الغنيمة**" أي عمليَّات النَّهب على وشك الحدوث؛ والنهب العاجل والسلب السريع. معلناً أمام الجميع –قبل مولد الطفل- بأنَّ ميلاده سيعطي ضماناً للشَّعب بأنَّ وعود الله حقيقيَّة؛ فأهمِّيَّة هذه العلامة ترجع أنَّه قبل مرور عام تقريباً ستكون إسرائيل، وسوريا أعداء يهوذا قد قضي عليهما تماماً، وسيستحوذ عدوُّهم "**اشور**" على كلِّ غنائمهما؛ دون فلمنج: **التفسير المعاصر للكتاب المقدَّس**، ترجمة: لجنة التعليم بالكنيسة الإنجيليَّة بقصر الدوبارة، ط1، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة: مصر، 2004م، ص353.

[lxv]- **قاموس الكتاب المقدس**، ص 953.

[lxvi]- انظر: 1صموئيل 10: 5؛ أخ 25: 1.

[lxvii]- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 163. وكان الدفُّ الذي استعملته مريم عبارةً عن آلةٍ تشبه حلقةً تحيط بها قطع نحاسيَّة، فكانت أشبه بـ"**الرَّق**".

[lxviii]- خروج 15: 20، 21

[lxix]- عدد 12: 1-2؛ 6-8.

[lxx]- ميخا 6: 3-4.

[lxxi]- قضاة 4: 5، 14، 23-24؛ 5: 1-5.

[lxxii]- **Encyclopedia Of Judaism**, p110.

[lxxiii]- **دائرة المعارف الكتابية**، (17/8).

[lxxiv]- **التفسير المعاصر للكتاب المقدَّس**، ص 137.

[lxxv]- **دائرة المعارف الكتابية**، (18/8).

[lxxvi]- 2ملوك 22: 14-15

[lxxvii]- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 837.

[lxxviii]- حزقيال 13: 17.

[lxxix]- **دائرة المعارف الكتابية**، (18/8-19).

[lxxx]- نحميا 6: 14.

[lxxxi]- لوقا 2: 36-38.

[lxxxii]- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 2069.

[lxxxiii]- أعمال الرسل 21: 8-9.

[lxxxiv]- انظر 1ملوك 19: 1، 2؛ 21: 1-15. 2 ملوك 9: 7-10، 30-37. ولمحةً عنها في1 ملوك 21.

[lxxxv]- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 2761.

[lxxxvi]- رؤيا 2: 20- 23.

[lxxxvii]- **قاموس الكتاب المقدس**، ص 952.

[lxxxviii]- Thamy Ayouch, **The body of evidence, psychoanysis and sex difference**, *Recherches en psychanalyse* n 1-15, (2013). 54-65.

[lxxxix]- 1) ,**Encyclopedia of Christian Theology**/ 1299).

[xc]- لاويين 15: 28-31.

[xci]- لاويين 12: 1-5.

[xcii]- 1تيموثاوس 2: 11-15.